تقويم وقياس الفعالية في المنظومة التربوية
الضرورات والصعوبات

الدكتور عبد الكريم بن اعراب
أستاذ محاضر، جامعة منتوري، قسنطينة

مقدمة:

منذ ظهور أشكال المدارس الأولى، كان عمل المهتمين بالتربية والتعليم منصبا على كيفيات تحصيل المعارف وطرق تعميقها. خلال الثلاثين سنة الأخيرة، تنوعت مجالات البحث في هذا الموضوع وأخذت أنماطا كثيرة ومتغيرة من ميدان إلى آخر، ومن منهج إلى آخر حسب الاختصاصات (علوم التربية علم الاجتماع، علم الاقتصاد...).
من أهم ما ميز هذه الفترة انشغال الاقتصاديين بمجال التربية استنادا إلى طروحات نظرية رأس المال البشري(Becker 1964) وأعمال (Mincer 1958 – Schultz 1963) والتي تعتبر أن " التربية والتكوين يمثلان استثمارا يقوم به الفرد بصفة عقلانية بهدف تكوين رأس مال منتج غير منفصل عنه ".لقد طرح هذا التحليل بناءا على ملاحظات Denisson عندما حاول تفسير ارتفاع معدل النمو في الولايات المتحدة الأمريكية بين 1929 ،1957 نتيجة لتحسين نوعية العمل والتي كانت بدورها نتيجة لارتفاع مستوى التربية والتعليم في المجتمع. على الأقل هذا هو الاعتقاد الذي ساد أثناء محاولة تفسير العامل المتبقي (le facteur résiduel) الذي مثل ب 43% . فالتربية تخلق من هذه الزاوية طاقة بشرية تستطيع من خلال التكوين أن تلعب دورا إيجابيا في النمو. هذا التكوين الذي يتطلب تعبئة موارد مالية من طرف الدولة خاصة في البلدان التي يمثل القطاع العمومي أكبر ممول فيها، أو أحيانا النموذج الوحيد للتمويل، إذ يمثل الجزء المخصص للتربية والتكوين في الكثير من الدول نسبة عالية من الموارد الوطنية المتاحة.من هنا

انصب اهتمام الاقتصاديين بكيفية تسيير أنظمة التعليم سواء من جانب التمويل أو من جانب عقلنة هذه الأنظمة وهذا بالبحث عن القواعد والطرق و الكيفيات التي تجعلها فعالة, على الأقل على مستويين:

01-علاقة التعليم بقطاع الإنتاج. وهو ما يستدعي البحث عن الفعالية الخارجية.

02-التعليم كنظام إنتاجي وبالتالي البحث عن الفعالية الداخلية. نستعرض فيما يلي مفاهيم الفعالية بالاعتماد على تعريفين أساسيين ومن منظورين مختلفين أحدهما تربوي محض والثاني يرتكز على النظر إلى التربية من الزاوية الاقتصادية وهو ما يعرف بأدبيات الاقتصاد التربوي.

1- مفهوم الفعالية

1-1-التعريف التربوي للفعالية

تعني الفعالية القدرة على إنتاج أثر منتظر أو مرغوب والمتمثل في نقل أو تحقيق استيعاب رسالة تربوية. وهناك من يعرفها بأنها " القيام بما يجب عمله من أجل تحويل الإمكانيات (وقت، مال، أدوات...) إلى نتائج (CRONBAG .1978) ". ومن وجهة نظر إجرائية تدخل في إطار بيداغوجية التحكم، فإن الفعالية على مستوى بيداغوجي مصغر Micro-pédagogie تستند إلى نموذج M.U.C.E.R إذ أنها تتوقف على أربع معلومات أساسية هي: 1- التحكم Maitrise (M). 2- المنفعة Utilité (U). 3- الاحتفاظ Conservation (C). 4- النجاعةEfficience (E). وتكون بذلك مردودية التعليم Rendement (R) هي محصلة الدلائل الأربعة السابقة حسب (De ketele). يشترط في هذا النموذج إجراء تحليل للوضعية في البداية ووضع مقاييس تقويمية ثابتة حسب أهداف محددة بوضوح (LIFA .1984.P12). هذه وجهة نظر بيداغوجية فكيف

ينظر يا ترى الاقتصاديون إلى الفعالية؟

1-2- مفهوم الفعالية في الاقتصاد التربوي

قبل التطرق إلى الفعالية من منظور الاقتصاد التربوي، يستحسن الإطلاع على مفهومها الاقتصادي المحض. تعرف من هذه الزاوية على أساس أنها مردود أو أثر مهم لآلة أو لإنسان. كما يقصد بها القدرة على إنتاج أثر (Grand encyclopédique 4 Larousse). كما أنها تعني الوصف للعلاقة بين المعطيات (المدخلات) والمنتوج (المخرجات) (Psacharopoulos & Woodhall. 1988). أما الاقتصاد التربوي، فيطرح مفهوم الفعالية من زاويتين: الفعالية الخارجية والفعالية الداخلية.الفعالية الخارجية تعني العلاقة بين التكاليف والمزايا التي يتحصل عليها الفرد، ومدى الاستجابة إلى أهداف المجتمع من حيث تلبية احتياجات سوق العمل. أو مدى إعداد التلاميذ والطلبة لدورهم المستقبلي في المجتمع من خلال قياس آفاق تشغيلهم والأرباح التي سيحصلون عليها من جراء هذا التشغيل. بعني أن هذه مواصفات خارجية لا يمكن ملاحظتها داخل المنظومة التربوية. أما الفعالية الداخلية فهي التي تصف العلاقة بين المدخلات والنتائج الدراسية داخل المنظومة التربوية في مجملها أو داخل مؤسسة تعليمية معينة. مما يعني أن الفعالية هي ملاحظة مدى الاستجابة إلى أهداف المنظومة التربوية أو المؤسسات التعليمية. تقاس انطلاقا من أهداف تربوية محددة وتتوقف النتائج المحققة على طريقة تحديد وقياس النتائج المدرسية. يكون هذا القياس من الناحية الكمية والنوعية. إذ تكون الغاية منه وصف القدرة على إنتاج المخرجات المرغوبة بأقل كلفة ممكنة، ومستوى من النوعية يحدد من قبل.

من خلال التعريف للفعالية من المنظورين السابقين، يتضح أن المفهوم التربوي يركز على الجانب البيداغوجي المصغر Micro-pédagogie، ولا يتطرق إلى جانب الموارد

المسخرة وكيفية استعمالها بطريقة عقلانية من أجل الوصول إلى تحقيق الأهداف المحددة. بينما يركز الاقتصاد التربوي على هذا الجانب، إذ أنه مبني أساسا على مفهوم العقلنة في استعمال الموارد المسخرة للتربية بغرض المحافظة عليها وحسن تسييرها. لذلك فإن الأعمال الحديثة حول تقويم التربية تسودها الاعتبارات المالية والاقتصادية. تجب الإشارة إلى أن التوجهات الحديثة في البحث ودراسة الفعالية من جانب الاقتصاد التربوي لا تعنى فقط باستعمال مؤشرات خاصة بالمدخلات والمخرجات بل تلجأ أيضا إلى استعمال مؤشرات نوعية ومؤشرات تهتم بالجانب البيداغوجي المصغر وهي مؤشرات تخص السيرورة (Linda ALLAL. 1994) Indicateurs de processus . من هنا، فإن الضرورة تفرض علينا دراسة الفعالية في التربية والتكوين من وجهات نظر مختلفة واستعمال طرق متعددة الاختصاصاتMultidisciplinaires. (psacharopoulos, 1992).

2-المقاييس التي يقوم على أساسها تقويم الفعالية في التربية.

إن تقويم أي موضوع أو مجال يخضع منهجيا لمقاييس محددة، تستند إلى أسس نظرية معينة، وهذا للتمكن من الوصول إلى النتائج بطريقة علمية ودقيقة تبنى على أساسها الأحكام بموضوعية ومصداقية. إن تقويم فعالية التربية يمكن أن يندرج في هذا النسق وفيما يلي بعض الأسس والمقاييس التي يستند عليها (شعباني، 2002).

2-1- الترشيد (العقلنة الجماعية) Rationalisation: التراجع الذي عرفته معدلات النمو الاقتصادي في العديد من البلدان نتيجة الأزمات الاقتصادية المتكررة والصعوبات المالية الناجمة عنها, أثر على ضرورة البحث عن السياسات البديلة في شتى المجالات, لاسيما في مجال التمويل العمومي لقطاعات حساسة كالصحة، التربية والحماية الاجتماعية. الميزانيات المتعاقبة والمتزايدة أدت إلى الرغبة في العقلنة من خلال وضع تقنيات جديدة ترتكز على تحليلات دقيقة من بينها تحليل الكلفة بالنسبة للمنافع

أو تحليل الكلفة بالنسبة للارباح analyse coût/bénéfice l' et/ou analyse coût/efficacité وأخرى ترتكز على مقاييس متنوعة تهدف إلى الانسجام في القرارات والبحث عن تحقيق فعاليتها.

من هنا، فإن مفهوم العقلنة يعني جعل السيرورات الإنتاجية أكثر فعالية وإنتاجية ونوعية بأقل كلفة ممكنة. وبما أن الاقتصاد التربوي يعتبر التربية عملية أو سيرورة إنتاجية، فإن الحاجة أصبحت ملحة على البحث في مردودية هذا المجال الاستثماري وذلك من خلال البحث عن أحسن الطرق التي تكون أكثر فعالية في استعمال الموارد المسخرة للتربية.

2-2-الإنصاف Equité : إذا كانت الرغبة في تحقيق الفعالية في التربية على أساس الترشيد الاقتصادي المعتمد على تحقيق المردودية والتوصل إلى الأهداف المطلوبة بأقل كلفة ممكنة واستعمال أنجع للموارد والوسائل, فإن التوجه الحديث في الاقتصاد التربوي لتقويم المنظومات التربوية يعطي الأولوية للفعالية والإنصاف معا. الفعالية يمكن تحقيقها بفرض سياسات تقشفية وضبط نماذج التسيير لكن بجانب ذلك هل نستطيع تحقيق الانصاف؟ البلدان المتطورة ترتكز على هذين المبدئين وتهدف إلى تحقيقهما على السواء من طرف المنظومات التربوية (Vandenberghe, Zachary, 2000). لذلك فإن الدراسات والأبحاث عبر العالم خاصة في البلدان المتقدمة لاسيما بلدان OCDE، تهتم بتقويم اكتساب المعارف من طرف التلاميذ انطلاقا من مجموعة من المعايير والمعلومات التي تكون مؤشرات تقيس الملامح الاجتماعية و الاقتصادية, من خلال معرفة مستوى تعليم الأولياء, المداخيل, المركز المهني الاجتماعي,البنية العائلية, الخ... كما تهتم كذلك بتأثير اللغة التي يتكلمها التلميذ (لغة الأم) على لغة التعليم (ا بالنسبة لأبناء المهاجرين مثلا) (Vandenberghe, Zachary, 2000). أو الذين يدرسون بلغة مغايرة للغتهم الاصلية.

إن اتّخاذ موضوع الإنصاف كمقياس يرافق الفعالية في تقويم التربية يرجع أساسا إلى الرغبة في أن تكون التربية عاملا لتحقيق الرفاهية الاجتماعية (Bien être social le)، هذه الرفاهية التي لا تتوقف فقط على حصول الفرد على مزايا معينة وإنما تتوقف أيضا على كيفية الإنصاف في توزيع هذه المزايا.على هذا الأساس يمكن أن يكون توزيع الموارد الخاصة بالتربية في برنامج أو في مستوى تعليمي معين أو نوع من التعليم غير متكافئ أو غير منصف وبالتالي تتولد عنه تأثيرات مختلفة على النمو الاقتصادي وكذلك على توزيع المداخيل (Psacharopoulos, 1992). الفعالية والانصاف اذن يرتبطان ارتباطا وثيقا.

3- فعالية التربية في الأبحاث والدراسات العالمية.

يختلف تناول موضوع تقويم الفعالية في التربية من مقاربة إلى أخرى. فهناك من يتناولها من منظور إيديولوجي في اتجاه ما يجب أن يكون، ومنها من ينتهج طريقة التقويم الذاتي.إذ تمثل مفاهيم الفعالية وأداء المؤسسة التعليمية تيارا حقيقيا في التقويم.

لقد أجريت العديد من الأعمال والدراسات في مجال تقويم الفعالية، من بينها الأعمال الأوروبية التي أقيمت في إنجلترا، بلجيكا وفرنسا، أو في بلدان أخرى كنيوزلندا و التي اهتمت بالبحث عن " المدارس الفعالة " (écoles efficaces les) .هذا النوع من الأعمال اتبع أيضا في الولايات المتحدة الأمريكية من قبل. وهي الاعمال التي تعتبر في مجملها حديثة. تحدد فيها المدارس المتميزة من حيث النتائج، ثم تُحلّل هذه النتائج للتعرف على العوامل التي تفسر هذا التميّز سواءً أكان ذلك عن طريق منهجية الدراسات الإحصائية الكلاسيكية، أو عن طريق منهجية دراسة الحالة. كما أن هناك نوعا آخر من الدراسات الأوروبية يعنى بمدى تأثيرات المدارس "effets école" ويرتكز على تحليل العوامل الخاصة بالمدرسة وكيف تؤثر على نتائج التلاميذ (مستوى تأهيل

الأساتذة، المسار الدراسي للتلميذ , التوجيه الذي خضع إليه...).

كما تقام دراسات أخرى تركز على كيفية تحسين سير المؤسسة والتي يقوم بها برنامج البحث وتحديد التعليم التابع لمنظمة OCDE وهذا النوع من الدراسات ينتمي إلى حركة من الأبحاث في الولايات المتحدة الأمريكية التي تعتبر أن الفعالية لا تحدد من خلال الأداء (النتائج الدراسية)، وإنما من خلال قدرة المؤسسة التعليمية على حل مشاكلها.

في أمريكا دائما فإن تيار المدرسة الفعالة يعتبر مضادا للتيار الذي يفسر النجاح الدراسي بمتغيرات مختلفة كالانتماء الاجتماعي والذكاء. إذ انه لا ينفي تأثير هذه العوامل ولكنه يؤكد ويولي الأولوية لتأثير المتغيرات المؤسساتية المتعلقة بتسيير المدارس والتفاعلات التي تحدث بداخلها وخصائصها, قصد المساهمة في إجراء برامج تنمية ترتكز على تحسين مستوى التعليم خاصة في البلدان النامية. بالاضافة إلى هذا تقوم العديد من المنظمات العالمية بإجراء دراسات حول فعالية المنظومات التربوية في مختلف البلدان منها: البنك العالمي, و تهدف دراساته للحد من تبذير الموارد المنفقة على التربية وكذلك توفير قروض لمشاريع تهدف إلى تحسين البرامج في بعض البلدان للحد من نسبة الإعادة والتسرب وتحقيق مستويات مقبولة من الانصاف. كما تقوم منظمة UNESCO بجمع إحصائيات حول التربية والتعليم في البلدان العضو وتهتم بمعطيات الأداء والفعالية. أما منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية (OCDE) فتقوم بإنتاج مؤشرات للأداء التربوية للبلدان الأعضاء فيها وكذلك العديد من البلدان عبر العالم.

أما في الجزائر، فإن الدراسات التي تتناول موضوع فعالية المنظومة التربوية أو المؤسسات التعليمية ضئيلة وغير معروفة ما عدا دراسة شملت نظام التعليم الابتدائي والثانوي (إنتاج مؤشرات كمية ونوعية) وكذلك دراسة خصت للتعليم العالي من

خلال دراسة فعالية جامعة قسنطينة (Benarab, 1997).

لقد عرضنا بشكل موجز مفهوم الفعالية والبحوث التي خصتها عبر العالم ونود أن نعرف كيف تقاس؟

4- طرق قياس الفعالية في التربية

يكون قياس فعالية التربية على المستويات الأتية : منتوج التربية، عناصر الإنتاج، والعلاقة بين العناصر والمنتوج. و يعتمد على نوعين من القياس: القياس الكمي والقياس النوعي من خلال استخدام مؤشرات مختلفة، كمية ونوعية.

4-1- طرق قياس الفعالية في التعليم الابتدائي والثانوي

يعتمد قياس الفعالية في هذه المرحلة من التعليم على مؤشرات كمية تتمثل في نسب التمدرس – عدد الناجحين من سنة إلى أخرى , عدد الحاصلين على شهادة, عدد التلاميذ الناجحين في المدة الزمنية العادية للحصول على شهادة, نسب التلاميذ المعيدين , نسب التلاميذ المتخلين عن الدراسة دون إكمال المرحلة الدراسية المقررة. الخ....

هذه المؤشرات لا تكون لوحدها كافية لتفسير الفعالية وتستدعي الرجوع إلى التحليل النوعي. بالاضافة إلى وجوب توفر معلومات صحيحة عن السياسة التعليمية المتبعة، الواقع الاجتماعي وتأثيره الخ... إن استعمال نتائج التلاميذ في اختبارات نمطية تقيس مكتسباتهم المعرفية وغير المعرفية تسمح بقياس نوعي لنتائجهم ولها أهمية كبيرة في الكشف عن العناصر المؤثرة في النجاح الدراسي، إلا أنها صعبة الإنجاز والتطبيق ومكلفة جدا مما يجعل الباحثين يكتفون بعينات صغيرة. وهذا يجعلنا نتردد في تعميمها. كما ترجع صعوبة القياس إلى اختلاف المدخلات.

يستعمل الباحثون في هذا المجال أيضا النتائج الدراسية لقياس نوعية التحصيل

أي مدى توصل التلاميذ إلى مستوى معين من التحكم والامتياز.

استعمال المؤشرات النوعية يساعد على تفسير الفعالية بدقة لكونه يهتم بملاحظة ظروف التعليم, ظروف العمل في المكتبة, اكتظاظ الصفوف, الاعتمادات المخصصة للمؤسسة وحساب العلاقة بين الكلفة والفعالية للتمكن من اختيار الأوليات في اتخاذ القرار. كذلك معرفة الكلفة الحدية، نوعية الإعلام (مدى توفير الكتب والمجلات والوسائل الإعلامية المختلفة), نوعية التنظيم والتسيير الإداري والمالي, نوعية المباني والتجهيزات ومدى استعمالها, دراسة نوعية التلاميذ (المستوى الذي يأتون به من المرحلة التعليمية السابقة).

4-2- العوامل المؤثرة في فعالية التعليم الابتدائي والثانوي

في بداية السبعينات، معظم الدراسات الأمريكية حول العلاقة ما بين المدخلات والمخرجات في التربية، خلصت إلى أن المتغيرات المدرسية لم تكن لها تأثير كبير على الأداء التربوي، وأن العوامل الاجتماعية والاقتصادية بما في ذلك خصائص التلاميذ هي الأكثر أهمية إن لم تكن المحدد الوحيد حسب ما جاء في تقرير (Coleman 1966). لكن الدراسات الحديثة بينت عكس ذلك, أي أن المتغيرات المدرسية يكون لها اكبر أثر على الفعالية خاصة تلك التي أجريت في البلدان النامية و تتمثل العوامل المؤثرة على الفعالية في:

ا- **العوامل غير المدرسية**: الاستعدادات الفطرية للتلاميذ كالذكاء، خصائص التلاميذ (نوعية مكتسباتهم ما قبل المدرسة , المستوى الاجتماعي والاقتصادي للعائلة اتجاهات الأولياء نحو الدراسة).

ب- **العوامل المدرسية**: مستوى تأهيل الأساتذة (التكوين والشهادة والجنس), عدد التلاميذ بالنسبة للأستاذ الواحد، رضا الأستاذ عن مهنة التدريس و انتظاراته من

التلاميذ وهو ما يسمى بتأثير المدرس (Effet-maître). متغير توفير الكتب المدرسية نوعيتها وعلاقة تكوين الأستاذ وخبرته بكيفية استعمالها, إصلاح البرامج التعليمية نوعية الامتحانات, نوعية الموارد (مباني وتجهيزات تربوية), تأثير حجم القسم (Effet-classe). إلى غير ذلك من المتغيرات المختلفة والمفسرة.

(Benarab, 1998études pédagogiques, 1990. Besse & autres, 1995, centre international d)

4-3-قياس الفعالية في التعليم العالي

لقد بقيت الجامعة حتى زمن غير بعيد كعلبة سوداء لا يعرف ما يجري بداخلها. ففي 1978 خلال مؤتمر عقد ببروكسل، كان رؤساء الجامعات الغربية يؤمنون بعدم تدخل السلطات العمومية أو جهات أخرى في شؤون تسيير الجامعة إذ كانوا يعتقدون انهم المسؤولون الوحيدون عن التسيير وان السلطات العمومية تختص فقط بالتمويل. كان لابد الانتظار حتى نهاية السبعينيات أين طرحت مسألة فعالية الجامعلت في بلدانOCDE خاصة اجتماع باريس في جوان 1978 واهتم بمؤشرات الاداء الخاصة بمؤسسات التعليم العالي ثم اجتماع سبتمبر 1978 الذي خصص لتقويم الفعالية في المؤسسات (Sizer,1979). الحكومة البريطانية كلفت مجموعة من الخبراء عرفت بلجنة جارات (Commission JARRAT) التي قدمت تقريرها في أفريل 1985 عسى أن تتم الاستفادة منه ابتداء من 1986 (Lockwood, 1986). منظمةOCDE من جهتها قامت سنة 1985 بالبحث عن انتاج واستعمال مؤشرات الاداء في التعليم العالي, تم ذلك في 70 جامعة في 15 دولة . الفكرة انبثقت من أعضاء فوج عمل ألماني (Cuenin, 1987)

النتائج التي توصلت اليها فرق البحث أدت إلى جرد 492 مؤشر تنقسم إلى مؤشرات الدخول (131), مؤشرات النشاط (171), مؤشرات النتائج (139) مؤشرات عامة (51).

Indicateurs d'entrée, indicateurs d activité, indicateurs de résultats, et enfin indicateurs

généraux.

اذا كانت البحوث قد اهتدت إلى انتاج مؤشرات خاصة بالتعليم العالي فان النقاشات والتساؤلات المطروحة من طرف الباحثين كانت تدور حول إمكانية تطبيق المناهج والوسائل المستعملة في دراسة فعالية التعليم الابتدائي والثانوي على التعليم العالي (Benarab, 1998) . تجدر الاشارة إلى أن الجامعات الفرنسية بدأت تهتم بالتقويم في مطلع التسعينيات. خلال العامين 1992 و 1993 انجزت دراستين الاولى من طرف المرصد الفرنسي للكلفة في التعليم العالي Observatoire des coûts dans le supérieur واهتمت بجامعة ديجون Université de Bourgogne, Dijonوالثانية قام بها Orivel واخرون على 15 مؤسسة تعليم عالي. كما تميزت فترة التسعينيات بإنجاز دراسات تتعلق بأداء الجامعة في انجلترا وبلدان اسكندينافيا والولايات المتحدة الأمريكية.

في الجزائر، تعد دراسة فعالية التعليم العالي شبه منعدمة، ما عدا الدراسات الأولى حول فعالية جامعة قسنطينة (بن اعراب، 1997)، إذ تم من خلالها تحليل الكلفة والفعالية للمنظومة الجامعية الجزائرية وهذا باستعمال مؤشرات كمية ونوعية.

4-3-1- طرق قياس فعالية التعليم العالي

تختلف طرق قياس فعالية التعليم العالي عن التعليم الابتدائي والثانوي، نظرا لعدة اعتبارات أهمها أن الوسط الجامعي يختلف تماما عن الوسط المدرسي وكذلك تختلف أدوار الطلبة والأساتذة عن أدوارهم في التعليم الابتدائي والثانوي. من هذا المنطلق، فإن استعمال بعض مؤشرات وطرق قياس فعالية التعليم الابتدائي والثانوي لتقويم فعالية التعليم العالي غير ممكنة، على سبيل المثال استعمال الاختبارات النمطية.، ولذلك، فقد لجأ الباحثون إلى استعمال مؤشرات كمية وأخرى نوعية خاصة بتقويم التعليم العالي.
أ-المؤشرات الكمية: من بين المؤشرات شائعة الاستعمال: مؤشرات تقيس فعالية

التعليم على مستوى المنتوج: تدفقات الطلبة المسجلين في التعليم العالي. أعداد الطلبة الناجحين من سنة إلى أخرى. نسبة الطلبة المعيدين والمنقطعين عن الدراسة. أعداد الطلبة الحاصلين على شهادات. المدة الزمنية التي يقضيها الطلبة في البطالة انتظارا للحصول على منصب الشغل الاول.

المؤشرات النوعية: الحصول على كل المعلومات المتعلقة بالتعليم سواءا على المستوى الواسع كالسياسيات التربوية مثلا أو الخصائص الاقتصادية والسياسية للبلد أم على المستوى الضيق والخاص بالمؤسسة التعليمية.المؤشرات النوعية تقيس نوعية عناصر الإنتاج أي العوامل المباشرة وغير المباشرة التي تؤثرعلى السيرورة الإنتاجية. وقد أكد تقرير (UNESCO,1995) عن العلاقة الارتباطية بين نوعية التعليم العالي ونوعية بعض عناصره. من بين هذه العناصر: 1-**الموارد المالية المسخرة للتكوين:** الكلفة الحدية للطالب, وتعني مدى زيادتها أو تقليصها بزيادة أو نقصان طالب, والتحقق مما إذا كانت هذه الموارد تذهب حقيقة إلى تكوين الطالب أم في مجالات أخرى ليس لها علاقة بالتكوين. 2-**نوعية الطلبة المسجلين في الجامعة:** ضرورة معرفة مستوى الطلبة عند دخولهم إلى الجامعة من خلال ملاحظة نتائج البكالوريا والتقديرات (Mentions). 3-**نوعية الموظفين الإداريين:** الكفاءة في التسيير الإداري والمالي، كيفية تسيير وتنظيم المعلومات، الجو السائد في العمل (العلاقات...). 4-**نوعية الأساتذة:** يعتبر الأساتذة من أهم العناصر المؤدية إلى فعالية التعليم العالي لذلك فإن دراسة هذا العنصر يعطي الكثير من المؤشرات التي تفسر الفعالية: تزايد أعداد الأساتذة والعلاقة عدد الطلبة/أستاذ, مؤهلات العلمية للأساتذة (نوعية التكوين ولغة التكوين وكذلك نوعية الإشراف وما تأثير هذه العوامل على إنجاز الأساتذة لأبحاثهم الجامعية, رتبة الأستاذ وعلاقتها بعدد الطلبة لكل أستاذ,تكوين مستمر للأساتذة, مدى مشاركة الأساتذة

الباحثين في مشاريع دولية, مشاركة أساتذة جامعيين في الملتقيات,مستوى دخل الأساتذة, المكانة الاجتماعية التي يتمتع بها الأستاذ الجامعي في المجتمع. بالاضافة الي مؤشرات نوعية أخري كظروف العمل في المكتبة بالنسبة للطالب والأستاذ, نوعية الإعلام: توفير الكتب والمجلات والوسائل الإعلامية الحديثة, نوعية المباني الجامعية وكيفية استعمالها, اكتظاظ الطلبة, جو المحيط العام (الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية (Eicher 1996 et Benarab 1997).

يبدو أن قياس الفعالية في التعليم العالي لا يخضع الي مناهج محدودة بل يمتد ليشمل مؤشرات كثيرة يتكفل بها الباحث ليؤقلمها حسب ما يريد الوصول إليه.

4 -4- الحاجة إلى تقويم فعالية التعليم العالي في الجزائر

الحاجة إلى تقويم فعالية الجامعة الجزائرية تمليه عدة أسباب من بينها حجم الموارد المعبأة التي يبدو أن النتائج لم ترض مختلف الفاعلين. كما أن قياس الفعالية يمكن أن تفيد وقت اتخاذ القرارسواء السلطات العمومية أو مسؤولي الجامعات. البحث في فعالية التعليم العالي يعطي مؤشرات كمية ونوعية مفيدة لمعرفة اداء كل مؤسسة. بالاضافة لكون تقويم الفعالية يوفر معطيات مهمة لتحديد ميزانيات كل مؤسسة كما يمكننا من المقارنات الوطنية والدولية. تقويم الفعالية يمكن أن يساهم بقسط كبير في عملية الاصلاحات المفروضة. كما يمكننا من مقارنة الجامعات الوطنية بمثيلاتها عبر العالم.

5-صعوبات قياس فعالية التربية

يواجه البحث في موضوع الفعالية صعوبات كبيرة ومعقدة تعقيد طبيعة التربية نظرا لعدم القدرة على اتخاذ المؤسسة التربوية كمنشأة اقتصادية، إذ تتدخل عوامل خارجية عن التعليم، كما أن هذا الأخير يمتاز بطبيعة خاصة مختلفة عن باقي أنواع النشاط من حيث تعقيد السيرورة (سواء من حيث الوقت أو من حيث استخلاص

النتائج الدقيقة القابلة للتجريب والتطبيق). وتطرح أيضا قضية صعوبة تحديد المخرجات أي نوعية مستوى التلاميذ أو الطلبة مما يتطلب الكثير من الوسائل وكذلك يتطلب إجراء مقارنات بين منظومات تربوية مختلفة. كما تطرح إشكالية عدم توفر المعلومات الإحصائية ونوعيتها.

بالنسبة للتعليم العالي، فإن دراسة الفعالية تواجه صعوبات منهجية من حيث تحديد المؤشرات، وكذلك نظرا لتعقيد المتغيرات التي تفسر الفعالية، بالإضافة إلى غياب أو ندرة الدراسات حول فعالية التعليم العالي وعدم توفير المعلومات والإحصائيات الدقيقة التي تسمح بتفسير الفعالية بموضوعية.

الخلاصة

لقد تعرفنا على مفهوم الفعالية وطرق قياسها في مختلف المستويات وكذلك أهميتها والصعوبات التي نصادفها. ما يمكن استنتاجه أن البلدان المتطورة قد قطعت أشواطا فيما تتعلق بتقويم الفعالية. الدراسات المنجزة كفيلة بأن تعطي صورة واضحة على مدى فعالية المنظومات التربوية وكذلك المؤسسات التربوية حتى ولو لم تكن هناك اجماع على المناهج والطرق المستعملة وبالرغم من الصعوبات المصادفة.

البلدان السائرة في طريق النمو لا تزال بعيدة عن هذه المجالات حتى ولو أن هناك مبادرات فردية يمكن أن تصنف ضمن البحث الجامعي. الاهتمام بتقويم الفعالية في الجزائر لم يرق إلى المستوى المطلوب لكن العملية ممكنة إذا اهتم الباحثون أكثر بهذه الموضوعات وتولدت إرادة -تقيقية لدى ا لسلطات العمومية لمعرفة مستوى اداء الجامعات والمؤسسات الجامعية عموما. كما تجدر الاشارة أن تقويم الفعالية بالاضافة إلى المنافع المختلفة المتوخاة من فانه يمكن من معرفة أشياء كثيرة ومهمة عن المنظومة التربوية وكذلك مؤسساتها.

الخطوات الاولى التي يمكن القيام بها تكمن بالدرجة الاولى في تجميع المعلومات وتصفيتها ثم بعد طلك تحليلها. لعل المساوئ التي غالبا ما تكون سببا في اعطاء نتائج يمكن أن تظللنا عندما نستعمل المعلومات دون معالجتها.

المراجع:

1- عزيزة شعباني، 2002، قياس الفعالية في مؤسسات التعليم الثانوي الجزائري، حالة ثانويات قسنطينة، رسالة ماجيستير، جامغعة قسنطينة.

1- Allal. L. 1994. Efficacité. efficience et processus de régulation. De boek. Bruxelles.

2- Benarab A. 1997. Etude des coûts et de l efficacité dans le système universitaire algérien. thèse de doctorat. Dijon.France.

3- Benarab. A. 1998. Quelques problèmes méthodologiques pour l évaluation de l efficacité. revue n°9. sciences humaines. université de Constantine.

4- Centre international d études pédagogiques. 1990. La performance et l efficacité des établissements d enseignement secondaire. France. Québec.

5- Cuenin. S. 1987. L utilisation des indicateurs de performance dans les universités une enquête internationale. in revue internationale de gestion des établissements d enseignement supérieur. vol 11 n° 2. OCDE. Paris.

6- Lifa. N. 1984 recherche expérimentale centrée sur l étude de l efficacitépédagogique. Magistère. université de Louvain. Belgique.

7- Linke R.D. 1992. quelques principes pour l application des indicateurs de performance dans l enseignement supérieur. in revue gestion de l enseignement supérieur. vol 4. n°2. OCDE.

8- Lockwood. G. 1986. Etudes de l efficacité des universités britanniques. in revue internationale de gestion des établissements d enseignement supérieur. vol 10 n°2. OCDE. Paris.

9- Psacharopoulos & Woodhall. 1988. l éducation pour le développement. Economica. Paris.

10- Sizer. J. 1979. Evaluation de performance réalisées par les établissements. vue d ensemble. in revue internationale de gestion des établissements d enseignement supérieur. vol 3 n° 1. OCDE. Paris.

11-Zachary & autres. 2000. efficacité et équité dans l enseignement. in efficxacité versus équité. ouvrage collectif sous la direction de Plassard. l Harmattan. France.